مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية
العدد الثاني – المجلد الأول
يونيو 2017
ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

عناصر المقاومة في الشعر الفلسطيني "الحر"
(شعر عزالدين المناصرة أنموذجاً)

عزت ملا ابراهيمى - حامد جنادلة - آزادة آزادي
قسم اللغة العربية - الآداب والعلوم الانسانية - جامعة طهران

الملخص: يشكل الشعر الفلسطيني الحديث في الحقيقة صوتاً مدوياً يتجلى من خلاله موقف الشعب الفلسطيني المندد بالعدو الصهيوني، والشاعر يقوم فيه بترسيم الاضطهاد والاستبداد والقمع والاغتيالات ويحثّ الشعب على مناهضة الإحتلال، وينشد الأشعار معبراً عن شغفه البالغ لوطنه وعن رغبته الشديدة في الرجوع إليه، وهو يتفاخر بمجده العربي التليد، ويتضجر ببالغ الأسى من فقدان هويته، ويدعو الشعوب العربية للقيام بنهضة ترجع إليه سالف مجده التليد. قد سعى الباحثون في هذه الدراسة أن يكشفوا عن عناصر المقاومة في الشعر الفلسطيني "الحرّ" (التفعيلة) من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي- التحليلي، فيبدو من نتائج البحث أن الشعر الفسطيني الحرّ قد ركّز على الكثير من الموضوعات مثل المقاومة والفداء وتكريم الشهداء ومدح المناضلين ودعاة الحرية. وشأن أغلب الشعراء الفلسطينيين اهتم عزالدين المناصرة بالواقع الفلسطيني المزري، وعبر عن تضامنه مع أمته المضطهدة من خلال استخدام مجموعة متنوعة من التقنيات مثل الرموز والأساطير والأقنعة واستدعاء الشخصيات التراثية..

الكلمات المفتاحية: الشعر الحرّ، عزالدين المناصرة، فلسطين، المقاومة، الصهاينة.

المقدمة:

النمط التقليدي للشعر والأوزان الخليلية قد هيمنا على الشعر الفلسطيني حتّى مستهلّ العقد السابع من القرن العشرين. لكن بعد ذلك تحرر هذا الشعر تدريجياً عن القيود القديمة، ومال الشعراء إلى التجديد والحداثة في هيكلية القصيدة العربية. القصيدة الحرّة التي ظهرت على الساحة الأدبية بعد الحرب العالمية الثانية في العراق ومن ثم البلاد العربية الأخرى باعتبارها ثورة على القصيدة القديمة ونمطها التقليدي الجافّ، تجلت في الأدب الفلسطيني بتأخير طفيف. فقد كانت فلسطين آخر بلد عربي سارت على طريق الحداثة واعتنت بالقصيدة الحرة. لكن ذلك ليس معناه أنهم لم يطلعوا على التطورات التي طرأت على الأدب آنذاك. فقد تضافرت أسباب عدة مثل الاحتلال، أدّت إلى عزل الأدب الفلسطيني عن العالم العربي، وأفضت إلى انقطاعه عن التطورات الكبيرة التي ظهرت على الساحة الأدبية. قبل أربعينيات القرن العشرين بقليل، ومع بزوغ نجم بعض الشعراء الفلسطينيين من مثل إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وأبو سلمي في ساحة المقاومة الفلسطينية، تمّ استخدام الموضوعات الجديدة بجانب الموضوعات الأخرى. منذ ذلك الحين حل الاهتمام بالوطن والتعبير عن لواعج الحب تجاهه محل عشق الأحبة وحب الديار، وازداد اهتمام الشعراء بالقضايا الاجتماعية والأحداث السياسية والتحديات التي تواجهها البلاد. شكلت هذه الأحداث بمجملها بداية للتطور والتحول في هيكل القصيدة التقليدية. فالنمط القديم للقصيدة العربية لم يعد يستطع أن يتقبّل القضايا والمفاهيم الحديثة إذ أن الوزن التقليدي ووحدة التفعيلة الشعرية كانا بمثابة قيدين يثقلان كاهل القصيدة ويحدان من انطلاقها.[1]

لذلك في الأعوام التالية ومع اتساع موضوعات الشعر، أدرك الشعراء الفلسطينيون أن الهيكل التقليدي للقصيدة العربية لم يعد يمتلك القدرة الكافية على قبول المفاهيم والموضوعات الجديدة. ففي منتصف العهد الخامس

[1]- آزادي، آزادة، *دراسة مضامين الشعر الحرّ في فلسطين*، رسالة الماجستير، جامعة طهران، 1394ش.هـ. ص49

من القرن العشرين برز الشعر الحرّ على ساحة الأدب الفلسطيني باعتباره أحد أنواع الشعر العربي الذي استطاع كسر وحدة الأبيات التقليدية وتسهيل عملية نظم الأشعار وتقبل الموضوعات الجديدة. رغم أن الشعر الحرّ كسر القالب التقليدي ووحدة الأبيات المعروفة في القصائد القديمة من أجل تسهيل عملية إنشاد الشعر، لكنه في الحقيقة كان أكثر تلائماً وتناسباً مع ظروف القرن العشرين اذ أنقذ بمجيئه، الشعر العربي من القيود التي أثقلته في وزنه وقافيته.[2]

وقد أيد ذلک الأديب واصف أبو الشباب بقوله: «العلاقة بين الموضوع والشكل في القصيدة التقليدية تضع الشاعر في موقف حرج إذ تفرض عليه نظم الشعر في حدود القالب التقليدي، ولو كان للشاعر موضوعات جديدة يريد نظمها. فقد كان الشاعر يضر بالموضوعات الشعرية التي يريد البوح عنها بسبب التزامه القسري بالوزن والقافية».[3]

أكثر البحوث التي تناولت الشعر الحرّ الفلسطيني ربطت بداية الشعر الحرّ بظهور شعر المقاومة، أي منتصف العقد السابع من القرن العشرين وما بعدها. يجدر التنويه إلى أن هذه الفترة بالذات تشكل بداية لإقبال الشعراء الفلسطينيين على الشعر الحرّ حتّى أننا لا نكاد نجد بعد هذه الفترة من أنشد الشعر التقليدي. وقد أشار إلى هذا الموضوع كل من الأدباء الثلاث محمد عطوات، كامل سوافيري، وغسان كنفاني في بحوثهم. فقد راوا أن بداية الشعر الحرّ اقترنت بشعر المقاومة لدى الشعراء الفلسطينيين ولا سيما عام 1967 وما بعده. وقد أشار الأديب يوسف يوسف إلى سبب ذلک قائلاً: «توجد هناک علاقة وثيقة متقابلة بين الشعر والحرب الدائرة في فلسطين. فالشعر يخدم النضال الفلسطيني من جانب والقضية الفلسطينية تشارک في تطوير وديناميه الشعر من جانب آخر».[4]

ظهور شعر المقاومة وموضوعاته أثبت أن الشعر القديم فقد قدرته السابقة على استيعاب الموضوعات والأفكار الجديدة. إذ أن الشاعر الفلسطيني، لم يعد يرغب في إنشاد الشعر الذي تتوقف كلّ براعته في التلاعب بالتفعيلات الشعرية والألفاظ وما شابه... فقد بات هذا الضرب من الشعر رسول عصره فكان لابد أن يفي بإلتزامه فيما تعهد به. فلذلک راج الشعر الحرّ بسبب طاقته الكبيرة على استيعاب الموضوعات الحديثة رغم أن الشعر القديم كان أكثر تناسباً مع الذوق الأدبي لدى العرب وأسرع انتشاراً وأكثر تأثيراً على أذهان أبناءها.

من خلال دراستنا للشعر الحرّ الذي أنشد بعد عام 1967 يمكننا الوصول إلى هذه النتائج. فعلى سبيل المثال الشاعر عندما يقوم برسم صورة الإحتلال ومآسيه العديدة من مثل الحرب، والقتل، والمجازر، والحرمان، والنفي، والتشريد، والاضطهاد، والقمع وما إلى ذلک، إضافة إلى كشفه عن الواقع، إنما يعبّر عن شعوره المجروح من خلال الاعتماد على الرموز والاساطير والصور الجديدة المطابقة للواقع.

فالشعر لم يعد يستطع أن يضع كل تلک المواضيع والتقنيات في النمط التقليدي للقصيدة العربية التي تلتزم بطول مصاريع واحد وعدد تفعيلات محدد ووحدة أبيات وقواف. نظراً إلى هذه الأمور يمكننا القول أن اختيار الشعر الحرّ وإقبال الشعراء الفلسطينيين نحوه له علاقة وطيدة بالواقع الفلسطيني والأوضاع الاجتماعية هناک. فالأحداث التي شهدتها فلسطين في مستهل القرن العشرين، سرعان ما حدت بالشعراء إلى الواقعية والإلتزام؛ بحيث لم يعد يستطع عدم المبالاة بأوضاع البلاد والسكوت عن الجرائم التي تقترف بحق شعبه. ولاسيما بعد مأساة إحتلال فلسطين في عام 1948 فما بعد نستطيع أن نقول أن الشعراء الفلسطينيين صرفوا كل اهتمامهم وسخروا كل طاقاتهم الشعرية في خدمة التطورات الاجتماعية والمشاكل والأحداث السياسية التي تحيط بهم بحيث أصبح شعرهم لسان شعوبهم.

رغم أن الشعراء الفلسطينيين تميّزت أشعارهم موضوعاً ونبرة ولحناً وصوراً إلا أنهم في الحقيقة اهتموا جميعاً بالواقع الفلسطيني المعاش. لذا بعد هزيمة يونيو لم يحدث أي تغيير يدل على الفتور في مجال التزام الشعراء الفلسطينيين

---

[2]- عطوات، محمد عبد عبدالله (1998): *الاتجاهات الوطنيه في الشعر الفلسطيني المعاصر*، دار الآفاق الجديده، بيروت، ص630

[3] -أبو الشباب، واصف، (1981): *الشخصية الفلسطينية في الشعر الفلسطيني*، دار العودة، بيروت، ص90

[4]- يوسف، يوسف، *دور الشعر في المعركة*، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، تونس، 1977، ص8

بواقع بلادهم، بل على العكس ازداد عن سابقه، لكن رؤاهم الشعرية إلى المستقبل قد تغيرت فعلاً. بمعنى أنهم قد امتنعوا جزئياً عن تناول القضايا التي تتعلق بالصعوبات التي تعترض طريقهم وأحزانهم وآلامهم وحسراتهم ويأسهم عن التطلع إلى المستقبل وشعورهم بالنقص والعار المتأتي من فقدانهم لبلدهم وتشردهم في أنحاء الأرض ورسم المظالم والمآسي التي يرتكبها العدو المحتلّ، بل انعكس في أشعارهم الأمل بالمستقبل المشرق والشعور بالعزة.

بالاضافة إلى هذه المشاعر، لم يعد شعرهم يحمل نبرة التهديد والتحدي البسيطة فقط، بل بات الشعراء يحملون سلاح الكفاح مع شعبهم ويدعون إلى النضال بكلّ جرأة وشهامة؛ إذ أنهم أدركوا عدم جدوى إنشاد الشعر ومجرد التهديد ورسم المظالم دون القيام بالكفاح المسلح. لذلک لم يدخلوا ساحة النضال وحدهم وإنما رأوا ضرورة القيام بحملة تحريض جهادية ضد الإحتلال. هذه المرّة يجب الاستشهاد من أجل الوطن والإنسانية الممتهنة فيه وعدم التقاعس في ذلک، من جانب آخر يجب إيصال الحق إلى سمع العالم.

فإذا أردنا تحديد مفهوم المقاومة يجب علينا أن نقول: إن المقاومة ليست سوى «مساهمة الأديب الواعية في القضايا السياسية والاجتماعية واتخاذ المواقف فيما يتعلق بها»[5]. في الواقع، أدب المقاومة والإلتزام، يقوم به الشعب والطليعة الفكرية للمجتمع في مواجهة ما يهدد حياتهم الروحية والمادية. وبالتالى هذا النوع من الأدب غالباً ما يتجلى بلغة واضحة. وتختلف مظاهره في كل مرحلة تاريخية وفقاً للظروف والمتطلبات المحيطة بها. فمثلاً في فترة من الزمن يبرز الأدب الاحتجاجي باعتباره أحد مظاهر أدب المقاومة وفي فترات أخرى تتجلى المقاومة في الأدب الزهدي أو الرثائي أحياناً أخرى.

وقد اعتمد الأديب عبدالرحمن الكيلاني هذا المفهوم لأدب المقاومة واعتبر المقاومة مجابهة لكل مظاهر الاستبداد والطغيان. فبرأيه قد ارتبط أدب المقاومة بالكفاح المسلح ليبرز تأثيره الأقوى. كذلک قد برز في الأدب الحماس الفلسطيني للمقاومة وحفظ الهوية الثقافية والحضارية. مع ذلک فالموضوع الرئيسي لدى شعراء المقاومة، هو حرية الأرض الفلسطينية التي تمتناز بمكانة تاريخية وجغرافية هامة.[6] من خلال ما مرّ من الحديث يمكننا أن نوجز أهم ميزات وأبرز مظاهر أدب المقاومة كالتالى:[7]

1- التحدث عن الوطن والشعب والهوية.
2- التوعية والصحوة والتأكيد على إنتهاء الأزمات العابرة والحروب والضغوط والصعوبات.
3- الإطلاع على مؤامرات الأعداء وكيدهم وفضحها.
4- الاستبسال أمام الجور والإحتلال.

فلذلک بإمكاننا أن نقسم ندرس الأدب المقاوم ضمن ثلاثة محاور كلية هي الوطن والقومية الفلسطينية والإنسانية والتي تضم في داخلها كل القضايا الاجتماعية. استناداً إلى كل هذه الآراء، يمكننا القول إن الشعر الفلسطيني الذي أنشد بعد عام 1967 لم يكن في الحقيقة سوى المقاومة ودعوة إلى النضال والفداء والصبر على مآسي السجن والتشريد والتعذيب والاستبسال في ساحات الكفاح ضد الأعداء المحتلين. ففي هذه الفترة أقبل العديد من الشعراء الفلسطينيين من مثل سميح القاسم، وتوفيق زياد، ومحمود درويش، وفدوي طوقان، وعزالدين المناصرة، وتوفيق الصايغ، وسالم جبران، و... إقبالاً واسعاً على الشعر الحرّ حتّى باتوا أبرز شعراء التجديد والحداثة في الأدب الفلسطيني.

تأتي هذه الدراسة تأييداً لما سبقها من البحوث التي لم تعد الشعر الفلسطيني ولا سيما ما نظم بعد نكسة حزيران 1967 من أدب المقاومة؛ رغم أن النبرة الشعرية والروي والصور المقدمة عن واقع البلاد والأحداث التي تقع ونوعية المقاومة قد اختلفت لدى الشعراء الفلسطينيين. بهذه المقدمة سندرک أهمية الحصول على العناصر والمفاهيم التي استوعبت

[5]- أبوحاقة، أحمد (1979): *الإلتزام في الشعر العربى*، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص13

[6]- كيالى، عبدالرحمن، *الشعر الفلسطينى في نكبة فلسطين*، موسسه العربيه للدراسات و النشر، بيروت، 1975، ص358

[7]- عبدالقادر، حسام، *المقاومه في الأدب، الفكره و الابداع*، مجله أفق الثقافيه، 2004، ص59

المقاومة، المفاهيم التي عكست بداخلها صوت الشعب والشعراء الذين يريدون البوح عن مظالمهم وآلامهم ويطالبون باسترداد الحقوق. من هذا المنطلق سعى المؤلفون في هذه المقالة إلى تحليل هيكل الشعر الحرّ في قصائد عزالدين المناصرة التي تجلى فيها عنصر المقاومة بكل وضوح. أهم المحاور الشعرية لدى هذا الشاعر المقاوم هي المواضيع المتعلقة بالمقاومة وهي تشمل الدعوة إلى النضال والصبر وحب الوطن والحرية والتكاتف والتضامن مع المجاهدين وتكريم الشهداء والانتماء العرقي وبيان الأمجاد السالفة مع ذكر التراث الفكري والحضاري ورسم جور الحكام واستبدادهم والتنديد بالمعاهدات والاتفاقات العربية أو الدولية أو الكشف عن الأحداث السياسية المؤثرة على الساحة العربية.

1- الدعوة إلى الجهاد والمقاومة والنهضة والثورة:

تعتبر قصائد المقاومة الفلسطينية واحدة من أنقى المصادر الأدبية في مجال الأدب العربي وقد تبلورت فيها أصدق المشاعر وأثبت العزائم. فهذه القصائد تصور أجواء الحرب والإحتلال والجور الذي مورس على الشعب الفلسطيني وحبهم لوطنهم وأصالة الأرض وجهادهم الطويل. من أبرز أهداف الشعر المقاوم هي البنود التالية:

- رسم حرب عام 1948 مع حركة المقاومة وإعمال القتل والتدمير والتشريد والمعاناة التي طالت الشعب الفلسطيني.
- رسم عمليات الجهاد والمقاومة والتضحية والفداء فى سبيل إحباط المؤامرات والتحرر من مآسي الإحتلال.
- رسم صور عن حياة الشعب الفلسطيني سواء القاطنين داخل البلاد المحتلة أو النازحين عنها.
- الدعوة إلى الكفاح والمقاومة وتعزيز أسس الوحدة والتضامن والمشاركة الفعلية باعتبارها عوامل لها دور بناء في التحرر والاستقلال.
- فضح الأهداف والبرامج التوسعية للكيان الصهيوني ولا سيما بعد نكسة حزيران عام 1967.
- بيان مبادئ المقاومة والنظام الأساسي لحركتها وضرورة الانضمام إلى حشود المجاهدين.

تعتبر هذه الأهداف في الحقيقة البيان الرسمي للمقاومة وهي تفرض على الشاعر الفلسطيني أن يعكس كل هذه الأساسيات في شعره. فعزالدين المناصرة، كسائر الشعراء الفلسطينيين شاعر مقاوم ملتزم بمصير الوطن وقضاياه وأشعاره لا تخلو أبداً من أفكار المقاومة. وهو دائماً يعدد آلام شعبه ومآسيها في مستهل قصائده ومن ثمّ يكشف عن شوقه الشديد وحنينه البالغ إلى ربوع الوطن.

في الحقيقة من الممكن أن يكون هذا الحنين والشوق والتشكي من التشرد والغربة في أشعاره علامة على دعوته إلى المقاومة. يعد البكاء وبثّ الحزن والألم لدى هذا الشاعر ضرباً من المقاومة. فهو يكرس كل طاقاته من أجل الوطن حتّى يمكننا أن نقول بجرأة أنه لا ينشد الأشعار إلا في وطنه. إنطلاقا من أنّ حنين الشاعر إلى وطنه وأمله في الوصول إليه قد تجلى في شعره بكل جلاء؛ نستطيع أن نستمد منه موضوع الثبات والمقاومة بأشكال مباشرة أو غير مباشرة كما يقول:

تآكلتُ مثلك يا صاحبي/ دموع الأحبة، صارت مشاعاً/ لكل قريب وكل غريب/ وأنتظر الوعد... هل فيهم من يؤوب.[8]

يتحدث الشاعر في المقطع الأخير من هذه القصيدة عن المقاومة قائلاً:

سأبكيك ما حنّ طفلٌ لشهوَة/ سأنقشُ وجهَك في كلّ فنجان قهوة/ وأبكيك ما تاق قلبي لنبع الهضاب/ سأبكيك حتّى أصير تراباً على جسدٍ من تراب.[9]

فالشاعر يعبر عن مقاومته من خلال رسم صورة شوقه وحنينه إلى وطنه وأنّ هذا البكاء وتلك الدموع ليست علامة ضعف وعجز ويأس. قصائد الشاعر كثيراً ما دارت بعد عام 1967 حول محور مآسي هزيمة حزيران وحنينه إلى وطنه.

[8]- المناصرة، عزالدين، *الأعمال الشعرية الكاملة*، دار مجدلاوى للنشر، بيروت، 2005، ج1، ص203

[9]- نفس المصدر، ج1، ص204

فهو دائماً يبحث عن منقذ ومساعد. لذلک يرى نفسه وحيداً في ساحة المعركة ويشكو من عدم وجود المجاهدين والثائرين الذين يهمهم إنقاذ الوطن. يدلّ هذا الموضع حرص الشاعر على الجهاد والمقاومة. وقد عبر عن هذا الأمر في إحدى قصائده:

في الصف الأول أشجارتطلب حصتها في الشهرة/ في الصف الثاني أحجار/ ينقلها اللاعب بين حقول الألغام/ في الصف الثالث تركض مهرةٌ/ في الصف الخامس تجارٌمن عصر الأنوار/ لكن في القرن الخامس للهجرة/ يشكون غياب القُدرة/ يا هذا زمن صرصار/ الموت هذا الخوف القابع في الأغوار/ الميتُ ورقة توت في قنوات الأنهار/ كنا نخفيها/ أو تخفينا/ ونغطي أسباب كآبتنا بغموض الأسرار/ من يقرع أجراسُ الغيرة / يا آرنستو!.[10]

فكما نرى ينشد الشاعر في شعره هذه المقاومة، إذ أنه يبحث عن رجل يدق أجراس الغيرة. في هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن الموت والشهادة والحزن والأسى المكتوم في القلوب. والشاعر يعطي صورة عن الشهداء من خلال رسم صورة عن أوراق التوت الواقعة في الممرات المائية. فالمناضلون في مسيرتهم الجهادية لم يسلموا من أذى الأعداء ولم يجدوا بداً من تحمل الصعوبات والمآسي في سبيل الحصول على وطنهم. على أية حال فالشاعر يرى أنه لا ينبغي أن تتوقف المقاومة والجهاد مهما استاءت الأوضاع:

والله لايذهب ملكي باطلا/ والله لايذهب ملكي باطلا/ بكي حصاني وارتميت من التعب/ وسمعت وإلينا يقول وعينه/ فيها القذي / لا يسلم شريف الرفيع من الأذى/ حتّى تقال على مسامعه الخطب.[11]

وهو في موضع آخر يأكد على ضرورة استمرار المقاومة ويرسم طول أمدها:

آن يا منزلاً عند باب الخليل / أن نقول الذي لا يقال، الذي لا نقول/ أن تدبَّ البراءةُ فينا ونخضرَّ/ يطلع برق الجذور، وعصف الشمول/ آن يا منزلا عند باب الخليل / حيث كان الذي كان / حين دفنّا صبايا الينابيع في التلة العالية / شاهداً كان هذا الهواء/ شاهداً كان عرجونُ هذا النخيل/ القلاعُ العتيقة كانت سيولاً من الأرجوان/ السماء التي... رغرغ الدمع في محجريها يجول/ لم تكن للخيول رؤوس/ لم تكن في المدى مقبرة/ الرماد يغطي تعاريج هذا الرحيل الطويل الطويل/ آن يا منزلا عند باب الخليل / أن تطير اليمامة من أسرها، فوقَ جسرِ الهوى.[12]

فعزالدين المناصرة في هذه القصيدة يؤكد مرة أخرى على ضرورة المقاومة والقتال؛ واستخدام الشاعر لصور من مثل صورة وصول أوان الإزدهار والإخضرار وهبوب الرياح وتحرک وانتعاش الجذور، يدل بشكل جلي على ضرورة النضال والمقاومة. ودفن الشهداء في وطنهم وفقدان كل ما من شأنه أن يبعث الأمل والرغبة إلى القتال في نفوسهم، شاهد على وجود النضال واطلاع الشاعر عن حركته المباركة. فهو يريد من وطنه أن يدعو إلى نفسه كل اللاجئين والمشردين، اولئک اللاجئين والمنفيين الذين بإمكانهم أن يمدوا روح المقاومة والنضال بروح جديدة. فالشاعر في هذه القصيدة رسم صورة حماسه وحنينه إلى وطنه ومآسيه في منفاه والمقاومة والنضال المفروضين على شعبه الأبي.

فالمناصرة من خلال رسمه لصعوبات طريق النضال في شعره وأشكال المآسي والمشاق التي يتعرض لها المناضلون إنما كان بحق من أبرز الشعراء الذين رسموا واقع المقاومة والكفاح الفلسطيني. فهو بسلاح شعره ومن خلال عشقه إلى وطنه وحتّى دموعه وبكاءه قد رفع علم المقاومة في سماء وطنه. وهو يتحدث عن جذوره الراسخة في وطنه وبالطبع فملكية الأرض والانتماء للوطن حق معترف به لدى الجميع. لكن الشاعر يفضل أن يستخدم أسلوب السكوت مع أعداءه وهذا ما لا يطيق بالفعل:

---

[10]- نفس المصدر، ج1، ص81-82

[11] - نفس المصدر، ج1، ص176-177

[12] - نفس المصدر، ج1، ص366-367

الحب الطالع، كالشجر الأخضر، في باب حديقتكم، شجري/ معترف بي في كل مكان إلا في دائرة الصوت/ ذلك أني أجرحهم من شدة صمتي/ صمتي يقتلهم.[13]

التضحية والفداء من أجل الوطن هي من المواضيع الأخرى التي شغلت الشعراء الفلسطينين أيضاً ولا سيما في أواخر العقد السادس حتّى منتصف العقد السابع من القرن العشرين وهذا ما كانت تستدعيه الظروف الراهنة آنذاك. وقد كان عزالدين قد اهتم بهذا الموضوع كما أنه لم يبخل بنفسه فداء للوطن. فقد كان يسعى بكل قواه أن تزدهر بلاده ويدخل عليها البهجة والسرور من خلال بذل نفسه ودماءه:

ليلاً... أبكيتُك، دونَ كلامٍ/ ليلاً... سامحتُك، يا شرياني المقطوع/ أفرغت زجاج مرارتي، نهرت، نبيذ الجوع/ ليلا ... أتسلل مثل فدائي مكبوت/ كالصلّ الأرقط، أنساب على الطرقات الرملية/ أترك آثاري... وأموت/ كي ينفجر الينبوع،ربيعاً من توت.[14]

بإمكاننا أن نعد الليل رمزاً لهيمنة الظلم والإحتلال واستبداد القمع والاضطهاد ولكل أمر سلبي يلقى بظلاله الثقيلة على روح الشاعر وشعبه. فلذلك يريد التضحية بنفسه من أجل تحرير وطنه من هذه العاهات المتعددة من ظلام وقمع ومآسي وآلام ومن ثم بناء مستقبل زاهر لذاك الوطن. من خلال ما مرّ يمكننا القول أن الشاعر يرى الفداء والتضحية، السبيل الوحيد لتحرير البلاد من رجس الإحتلال والطريقة الفعالة الوحيدة لإثمار عملية الكفاح.

رغم أنه قد تجلى عنصر الحنين المتأتي بفعل الغربة والمنفى بوضوح في شعر عزالدين المناصرة إلا أن هذا الحنين إلى الوطن والكراهية من الغربة هو الذي أحيا في قلب الشاعر روح النضال والمقاومة. فهو من خلال استخدام الرموز الطبيعية التي تشير إلى الوطن يرسم صورة المقاومة والكفاح بدقة. في الحقيقة ذكر الأماكن، واستخدام الرموز الطبيعية من مثل الشجر، والورود، والصخر، والجبال، وما إلى ذلك كلها، شاهدة على شدة حبه لوطنه. وهذا الحنين إلى الوطن هو العنصر الوحيد الذي يضرم في نفس الشاعر لهيب النضال والمقاومة والثأر من الأعداء. ما يمكننا أن نستلخصه من عناصر المقاومة في قصائد كل الشعراء الفلسطينين هو كالتالي:

التضحية والفداء في سبيل الوطن والكفاح المسلح والدعوة إلى المقاومة رغم الظروف الصعبة والشاقة والوحدة في المسيرة النضالية وترقب تحسن الأوضاع والأمل بظهور المنقذ الذي يقود الشعب الفسطيني وينقذه من محنته ورسم صورة الكفاح المباشر ضد العدوّ والنفي والسجن والتعذيب وتعزيز العزائم والإرادات للمشاركة في ساحات القتال والمقاومة في الظروف الشاقة. لكن ما هو أصل كل ما سبق وبعبارة أخرى الشحنة اللازمة التي توفر الطاقة للنضال والمقاومة هو حب الوطن والأمل بالمستقبل الزاهر. لو حذفنا هذين البندين من حركة المقاومة لم تبق بعد رغبة لمواصلة الكفاح لدى الشعب الفلسطيني.

2- الشعر الملحمي وتكريم المناضلين الأبطال والشهداء الأبرار:

لم ير الشاعر الفلسطيني من بداية عام 1948 وما بعده على الساحة الفلسطينية سوى الحرب والقتال الدائم والأسر والتعذيب وملاحم المناضلين الأبطال ولاسيما من عام 1967 وما بعده إذ اتخذ النضال في هذه الفترة شكل الكفاح المسلح وباتت مشاهد البطولات والملاحم أكثر تجلياً. لذلك فقصائد الشعراء الفلسطينيين مملوءة بصور البطولة والشهادة. النموذج الأفضل لهذه الملاحم هو االستشهاد المقاتلين الفلسطينيين الذين شغلوا جزءاً كبيراً من ديوان المناصرة. فتخليد ذكر الشهداء وترويج ثقافة الاستشهاد هو العنصر الأساسي في شعره المقاوم. والشاعر في مراثيه لهولاء الأبطال لم يكتف ببكاء الشهداء ولم يبث فيه عن حزنه وأساه فقط وإنما يرى في دم الشهداء القبس الذي ينير طريق المستقبل والعامل الذي

[13]- نفس المصدر، ج1، ص407

[14]- نفس المصدر، ج2، ص15

يحفظ البلاد من رجس المعتدين والمحتلين. فكل قطرة من دماءهم هي دفعة نشاط تؤثر على روح المناضلين ومحبي الوطن وتخلق فيهم الحماس والجهاد. ولكن هذه الملاحم لم تقتصر على الشهادة فقط بل أنها تمتد لتشمل الأنماط الأخرى من صور الشعر المقاوم من الأسر والتعذيب والسجن والنفي والتي تحكي بأجمعها عن جور المحتلين على أهل البلد وظروفها المزرية. إضافة إلى ذلك فالشعراء لم يتغاضوا عن تقديم المشاهد الدالة على لهفة المشاعر لدى عائلات الشهداء والمناضلين. إذ أن هذه المشاهد تحكي بواقعية عن عمق مشاعرهم تجاه الوطن والكفاح والمقاومة وهي بالتالي تعتبر ضرباً من صناعة الملاحم والبطولات. في الواقع لم تقتصر البطولة والمجد على الشهداء والمناضلين فقط بل تمتد لتمشمل في رحابها عائلاتهم وأسرهم التي قدمت أبناءها ورجالها إلى ساحات الكفاح وصبرت على فراقهم طيلة فترة الجهاد حباً للوطن وأملاً بمستقبل أفضل. الموضوع الثاني الذي اهتم به شعراء المقاومة ومن بينهم عزالدين المناصرة هو الإشادة بذكر المناضلين الأبطال المشهورين على مستوى العالم. بالتالي هو إضافة إلى ذكر الحروب والمآسي التي تتعرض لها البلدان الواقعة تحت سيطرة الإحتلال كبلده فلسطين يشيد بذكرى زعماءهم وأبطالهم المقاتلين ويعرب عن تضامنه معهم ويسعى بكل جهده لإثارة الهمم والعزائم من أجل خلق ثورة ضد الطغاة المعتدين والمحتلين.

لم يقم شاعر فلسطيني مقاوم كعزالدين المناصرة بتكريم المناضلين فقط، بل أشاد بذكرى الرجال والنساء والأطفال الذين استشهدوا تحت القصف الصهيوني إذ أنهم قضوا في سبيل الوطن جوراً وظلماً أيضاً. لذلك يعتبر الشعراء اللاجئين الذين قضوا بفعل الإرهاب الصهيوني في مخيمات لبنان وتل زعتر وصبرا وشتيلا والمواطنين القاطنين في مدن كفرقاسم وبيسان والقدس و... والذين دائماً كانوا يتعرضون لهجمات القمع من قبل الصهاينة، شهداء في سبيل الوطن. فعزالدين المناصرة نظراً إلى حبه لوطنه والذي قد أشار إليه في الكثير من المواضع في شعره لم يغفل عن المناضلين الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الوطن وذلك لإعتقاده أن دم الشهداء يثمر الأزدهار والأمل والخصب:

الأخضر يولد من دمع الشهداء على الأحياء/ الواحة تولد من نزف جرحي.[15]

وهو يعرف الشهيد على أنه المحب للوطن. فيرى الشاعر أنّ لون الشهيد هو أحمر ودمه زينة للوطن:

الأحمر- طبعا في هذه الحالة- لون فتان / يرشقه العاشق.[16]

لم ينوه عزالدين المناصرة إلى الشهداء بشكل مباشر وإنما نستطيع أن نستشف ذلك من فحوى كلامه. وهو كثيراً ما يحزن لموت الفلسطينيين الذين يقبعون في السجون والمنفى لأنهم لم يروا النصر الختامي ولم يذوقوا ثمرة صبرهم ومقاومتهم:

شربوا قبل طلوع الفجر/ رقصوا قبل جفاف البحر/ تركوا نار ضمائرهم/ قبل صعود الجبل الأحمر قبل بلوغ النهر/ ماتوا لم يسأل أحد... حتّى الحراس/ كتبوا فوق القبر:/ ماتوا قبل بلوغ النهر.[17]

والشاعر يتحدث عن الشهداء المجهولين ويتسائل هل يأتي يوم يدفن فيه جنود وشهداء يتم درج أسماءهم على القبور؟! وهو يتحدث أيضاً عن جوّ مرعب تقام في كل أنحاءه تماثيل للجنود المجهولين الذين لا يمكن التعرف على هوياتهم في ظل الإحتلال الصهيوني:

هذا نصب الجندي المجهول/ علق من جانبه في شكل سؤال محموم/ هل يصبح نصباً للجندي المعلوم/ لن يحدث هذا في وطن الروم.[18]

مع ذلك يستنفذ الشاعر صبره في بعض قصائده الرثائية لأبناء جلدته ويضجر أشد الضجر ولم يعالج موضوع الشهادة من بعده القدسي. من الممكن أن نعلل ذلك بأن الشاعر لم تكن له رؤية إيجابية تجاه قضايا الحرب وقتل مواطنيه وخلافاً لسائر الشعراء الفلسطينيين لم يسع لتعزيز العزائم على هذه الطريقة. قد يكون بعده عن الوطن وعن ساحات

[15]- نفس المصدر، ج2، ص7

[16]- نفس المصدر، ج2، ص35

[17]- نفس المصدر، ج1، ص166

[18]- نفس المصدر، ج1، ص429-430

الكفاح له أثر على رؤيته هذه. مع أن الشاعر قد شارك في الكثير من المعارك ضد العدو الصهيوني إلا أنه لم يعالج هذا الموضوع كما تناوله سائر الشعراء الفلسطينيين الأخرين.

3- ذكر المفاخر الفلسطينية السالفة وتراثها الفكري والحضاري

كل أبناء البشر في كل بقعة من الأرض الواسعة يمتلكون رصيداً خاصاً بهم من الحضارة والثقافة اللتين يضمان في دفتيهما حاضرهم ومستقبلهم ويشكلان هويتهم. لذلك فالناس إضافة إلى أسماءهم وشهرتهم يشتركون في الجنسية واللغة والتراث والهوية الخاصة بهم. فتاريخ الأمم والتراث المتأتي منه هو الذي يشكل هويتهم وطمس وإزالة تاريخ أمة ما هو إزالة الهوية التي تتمتع بها تلك الأمة. وهذا بالضبط ما علمته قادة الاستعمار الغربي والإحتلال الصهيوني في الشأن الفلسطيني والعربي بشكل عام لذا تحقيق لهدفهم المتمثل بالسيطرة التامة على الأرض الفسطينية قاموا بوضع خطة تقضي بإزالة التاريخ الفلسطيني وطمس هويته العربية. فالصهاينة استطاعت من خلال طمس الأسماء العربية واستبدالها بالأسماء العبرية والسعي لإزالة الدين والثقافة العربية وتغيير اللغة الرسمية للشعب الفلسطيني وحرمانهم من امتلاك الهوية الفلسطينية ومنعهم من بناء الجامعات والقضاء على المواقع التي تحتوي على التراث الحضاري والحيلولة دون رواج العلم والتاريخ الوطني أن يسلخوا ذاك الشعب البريء من هويته وماضيه. لكن الشعراء الفلسطينيين تصدوا لهذه المؤامرات الصهيونية بحزم وجرأة ولم يسمحوا لأصحابها بسلخ الهوية الفلسطينية بشكل كامل. إذا قاموا بتأكيد أكبر على هويتهم العربية وأصالتهم الفلسطينية. الوضع الحالي في فلسطين هو أيضاً يحتم على الشعب الفلسطيني بالتمسك بالهوية إذا أن هذا الشعب الذي تشرد أو تنفى بأمس الحاجة إلى استرداد ماضيه التليد وعزته القعساء وجعلهما نصب عينيه كي تكون محفزاً له على الأمل بمستقبل أفضل لواقع بلاده. من بين العديد من شعراء المقاومة الفلسطينيين برز عزالدين المناصرة في هذا المجال بسبب إكثاره من استخدام الأساطير والرموز الشعبية والعربية. فبعده عن الوطن قد أثار فيه حس الانتماء إلى كل ما يمت إلى وطنه بصله قديماً وحديثاً لكي يبرز حبه وحنينه إلى العيان ويثبته لمخاطبيه. والشاعر يكشف عن حبه وحماسه المتأتي من ابتعاده عن وطنه من هذا الجانب.

رغم أنه يبدو في الوهلة الأولي أن ذكر الشاعر لتاريخ أمته واستخدامه التراث الفكري والحضاري وتوظيفه لا سيما الرموز والأساطير العربية وأسماء المواقع والمدن الفلسطينية واستخدامه الواسع للعامية ورسم جماليات وطنه لا سيما مسقط راسه وملعبه في صباه لم يكن فقط بقصد التعبير عن الحزن أو الفرح ولكن في واقع الأمر هو أنّ الشاعر مثل سائر الشعراء الفلسطينيين تعهد بمهمة توعية الشعب الخطيرة والجسيمة. لذلك نراه يستخدم هذه التقنية لتعزيز العزائم وبعث الأمل بالمستقبل في قلوب شعبه. فيمكننا القول أن المناصرة كان يدعو إلى المقاومة والنضال من خلال التشبث بالأرض وحفظ التراث وذكريات الماضي التليد.

فعزالدين المناصرة كما نوهنا، قد أشار إلى ماضي وطنه العريق من خلال استخدامه للرموز. فهو في القصيدة التالية إضافة إلى رسمه لنكسة عام 1967 وضياع فلسطين يتحدث عن هويته المسلوبة وإحتلال بلده من خلال رمز الزيتون والصفصاف والبرتقال التي تعتبر رمزاً لفلسطين منذ القدم. هنا في هذا المقطع من شعره يختزل الشاعر الماضي في كلمة "جدتي" التي ترمز إلى تاريخ وطنه المفقود:

جاء الشتاء وأنت ترتادين آفاق الشتاء/ ورأيت أشجار العذاب تطل من قلب المساء/ لا حور، لا صفصاف، لا زيتون يرفع رأسه نحو السماء/ لا قلب جدتي العجوز/ يدعو بأن يهمي المطر/ خطواتهم فوق القبور الصامتات ... وجدتي / تمشي أمام الدار، تصرخ: يا ذئاب/ قوموا وإرحلوا مثل الذباب.[19]

[19]- نفس المصدر، ج1، ص67

لذا عندما يقوم الشاعر بوضع ماضي البلاد أمام واقعها الحالي يوحي بأن الماضي هو من يصرخ في وجه المعتدين ويدعوهم إلى الخروج من أرض فلسطين. فالماضي هو من يشحن الجماهير بالرغبة في مقاومة الإحتلال، والتذكير به يبعث في نفس الشاعر الحماس الشديد لاسترداد الأرض المسلوبة واسترجاع الحقوق المنتهكة. والشاعر في المقطع التالي يتحدث عن ماضي وطنه المفقود أو المسلوب بيد الإحتلال بحسرة وألم ويقول:

في زمان الندى والسماح / كنت أكثرهم في السماح/ ولما وقعت حصاناً جريحاً وحيداً شهيداً فريداً / على صخرة في الظلام/ فجأة طوقتني سكاكينهم... والسهام/ وصرت يتيماً على طاولات اللئام/ هل أميط اللثام/ عن أكاذيبهم، هل أميط اللثام؟/ يا زمان الندى والسماح.[20]

فقد كان للشاعر ماض رغيد تنعم به وهو كالأخرين ممن أسبغ عليهم من آلائه. لكن هولاء الأخرين عندما أصيب بالأزمات فضلاً عن عدم مساعدته وتنصلهم عن حمايته وجهوا إليه خناجرهم وحرابهم. فالشاعر يتحدث عن اضمحلال تاريخه الحضاري على يد هولاء الذين قد تنعموا يوماً بأمنه وحمايته. وهو يدعو ماضيه الذي هو في نظره بمثابة دعوة إلى النضال والمقاومة ويبرز فيه حزنه وأساه لما قد أصابه في الزمن الحالي. يشير الشاعر في موضع آخر إلى هويته وجذوره ويسعى من أجل الربط بين ماضي بلاده وتاريخها وحضارتها، لذلك يتسائل نظراً إلى وطنه وهويته وتراثه المشترك لماذا لم تكن ثمة وحدة بينهما ويقول:

يا جذع يبوس/ لحمي من خاصرة النهر الموعود/ قلبي من صوت المتنبي وحداء البيد/ بينهما بحر من مطر خام/ بينهما نهر من صلة الأرحام/ فلماذا نردم أشواق التوحيد.[21]

في الحقيقة يدعو الشاعر الشعب الفلسطيني إلى التمسك بأرضه والبحث عن أصالته. مع ذلك ينبه على ضرورة النظر إلى الماضي والتراث الفكري والحضاري ويؤكد على حتمية الاتصال بينهما. يجب التنويه إلى أن الشاعر لم يشر إلى عظمة تاريخ وطنه بشكل مباشر بل قام فقط باستخدام الأساطير والرموز الوطنية واستدعاء الشخصيات القومية كتقنية فنية. وهكذا وبهذه الطريقة قد عبر عن حنينه إلى وطنه إضافة على أنه أبدى تمسكه الشديد بماضيه. فهو من خلال توظيفه لأساطير من مثل زرقاء اليمامة ومعادلتها الفلسطينية كجفرا واستخدامه لأسماء بلده القديمة واللغة الدارجة كشف عن معرفته على تراثه القديم وبذكر كل تلك الأساطير والأسماء إنما دعا إلى حفظ التراث وصيانته.

4- صورة الجور والاستبداد والجريمة والإحتلال والإرهاب والقمع :

يتم تعريف الأدب الملتزم على أنه الأدب الذي يصور اتجاهات الأدباء الاجتماعية وتنعكس فيه قضايا المجتمعات لمعالجتها. فالشاعر الملتزم هو الشاعر الذي يحمل في قلبه أوجاع مجتمعه ويرسم بذكاءه الحاد ودقة فنّه الأحداث الواقعة، سواء في ذلك الشعراء الذين في داخل الأراضي المحتلة أو خارجها. لم ير الشعب الفلسطيني طيلة فترة صراعه مع الصهاينة ولا سيما بعد نكبة عام 1948 سوى الجور والتشريد والقمع والاستبداد والإحتلال والتدمير. لذلك يرى الشعراء الفلسطينيين الملتزمين أنه يتوجب عليهم إضافة على بسط المشاكل والأزمات والتحديات التي يواجهها شعبهم أن يقوموا بتقديم حلول لها. فيقوموا في بعض الأحيان بالتنديد بالممارسات الصهيونية ويدعون إلى القيام بانتفاضة وأحياناً أخرى يركنون إلى الصبر مكتفين بالتعبير عن حزنهم وأساهم.

الشعر الفلسطيني في هذه الفترة مملوء بصور الجور والقمع و... ومواضيعه لا تختلف كثيراً عن الأشعار التي أنشدت قبل عام 1967. مع أن مواضيع الشعر كانت واحدة لكن مواقف الشعراء تجاه الأزمات التي يواجهها قد تغير. فقد كان

[20]- نفس المصدر، ج1، ص80

[21]- نفس المصدر، ج1، ص142

الشعراء قبل هذه الفترة يتجنبون الحديث عن الكثير من القضايا بفعل الإرهاب الصهيوني والتعتيم المفروض لكنهم بعد هذا العام كشفوا عن معاناتهم ومآسيهم دون خوف ووجل.

اهتم عزالدين المناصرة بقضايا وطنه لكن اهتمامه هذا ليس مباشراً ولم يتجل من خلال صور واضحة. ربما نستطيع أن نقول إنه كلما تحدث عن وطنه ومآسيه لم يكن هدفه الوطن فقط وإنما الناس الذين يقطنونه. فقد كانت الصور الواضحة والمباشرة في شعره أقل نجاحاً مما نجده في دواوين الشعراء الفلسطينيين أمثال محمود درويش وسميح قاسم وفدوي طوقان. لكننا لا نستطيع أن نحكم أن الشاعر فاقد الاهتمام بالقضايا الاجتماعية وإنما بإمكاننا أن نقول إن شعره الاجتماعي والوطني الذي أنشده فترة تمتد من النكسة إلى الانتفاضة كان أقل منهم. وقد أبدى الشاعر في هذه الفترة اهتماماً أكبر بالشعر الاجتماعي. على أية حال، شكّل العدو الصهيوني واحدة من الأشياء العديدة التي أشار إليها الشعراء الفلسطينيون على أنها من أبرز مظاهر الاضطهاد. فيقول المناصرة:

مولاي قد غاب القمر/ واحتجب الغيث وغابت الأسماء/ غربانهم من فوقنا تحوم/ حتّى أتت حمامة زرقاء/ وعنكبوت/ ونصبا على حدودنا سلاسل الدعاء/ تمنعنا من أن نموت/ كما يموت الجبناء/ مولاي يا جالوت / قنديلنا إنكسر/ الطاولات جهزت لمؤتمر/ من أجل أن يقتسموا الهواء/ والقمح والحجر/ والزيت والسراج/ هل يتركون في ساحاتنا الشجر/ بل يتركون في قلوبنا الضجر/ ويتركون الخوف في البلاد.[22]

يتحدث الشاعر عن انتشار العدو الصهيوني في وطنه وهيمنته السياسية وانتهاكاته الفضيعة لحقوق أمته وشعبه. وأشار إلى تعاون القوى المتغطرسة وتكاتفها للهيمنة على الدول العربية الضعيفة. النتيجة الوحيدة التي أرهصها هذا التعاون الجائر على الأمة العربية هو حرمانهم من نعمة الأرض والقدرة السياسية والاجتماعية والتي تعتبر من إرهاصات هزيمة حزيران. استخدم الشاعر العديد من المفردات من مثل السفاح والغراب والذئب والعنكبوت وما إليها رموزاً للتعبير عن تواجد العدو الصهيوني في وطنه. فيقول الشاعر في قصيدة أخرى:

فضج قرنفل الحيطان/ تسامق نحو الروح الروح، سارت زفة النسوان/ هديراً من نعاس الرمل خلفي، يجرح الركبان/ يغنين القتيل الصعب، موالاً جريح الرأس/ وسرت مهشم القدمين فوق الشوك/ مأسوراً من الحراس.[23]

فالشاعر في هذه الأبيات يرسم صورة الجور والاضطهاد الذي مورس على الشعب الفلسطيني وقد استخدم "قرنفل الحيطان" ليرمز بها عن أبناء وطنه الذين تضجروا من واقعهم المزري واستولى عليهم الحزن والأسى بفعل الأزمات والمصائب. في هذا الحال لم يعد فرق بين الشاعر والمناضل إذ أن كليها في ظل ظروف متساوية يضحيان بنفسيهما. إضافة إلى ذلك فالسجن والنفي مظهر أخر من مظاهر المآسي التي كثيراً ما يتلى بها الشاعر. فهو يرسم في موضع أخر ذروة الجور الذي يمارس في حق شعبه ويقول:

أيقظوها/ طفلة خضراء في حضن الجبل/ حملوا كل المعدات الثقيلة/ راهنوا أن لا تصل/ أيقظوها، دمروها، أحرقوها.../ بثياب العرس والحناء والزهو الجميل/ رغم هذا قاومت حتّى الأصيل.[24]

فهو يرسم صورة لطفل استيقظ من النوم ولم ير أمامه شيئاً سوى الدمار والهلاك؛ في الواقع قد تدمرت كل آماله وأفراحه ونعمه الطفولية. والشاعر بهذه الصور إنما يوحي بضرورة مواصلة النضال والمقاومة ويأكد على أن هذه

[22]- نفس المصدر، ج1، ص89-90

[23]- نفس المصدر، ج1، ص178

[24]- نفس المصدر، ج1، ص492-493

المآسي لا تركع شعبه ولا تضعف من عزيمته. لذلک يتسائل معترضاً ومنددا هل نحن فقط نموت تحت سكاكين الإحتلال ونعاني من القمع أم ثمة من يعاني مثلنا:

أهكذا يعيش كل الناس؟! / أم وحدنا نموت فوق النطع، تحت القاطرة؟[25]

رسم الشاعر بدقة صورة الرعب والمعاناة التي تتعرض لها الأمة الفلسطينية من خلال استخدامه لمصطلاحات من مثل "الجري بالمقصلة" و"بسط النطع" بحيث يثير الحزن في نفوس مخاطبيه. فهو يقول متتابعاً:

لا تسأليه/ قد ضاع في وجع الليالي/ ربما لن تسمعيه/ يا حلوتي/ كل هنا قد جاء يبحث عن بنيه/ وأنا وأنت على الأسى نحيا ونبحر في السراب.[26]

فالمناصرة يتحدث عن ناس غرقوا في الظلمات المحيطة بهم؛ فقد ابتلعتهم المصائب والمآسي بحيث لم يعد يسمع لهم صوت. إذ أن سكان هذا البلد يبحثون عن ولدهم المفقود باستمرار. فالشاعر في هذا الجوّ المفعم بالرعب يتحدث مع مخاطبيه عن ذروة الجور والاضطهاد. فالوطن بات مجزرة من قبل الأعداء وقد قضى على الشعب الجور والماسي وأفقدهم مساكنهم حتّى باتوا لاجئين. بحيث أن كل عائلة باتت تبحث عن ولدها من كثرة القتلى. وهو يرى أن قتل الفلسطينيين بأسلحة الدمار الشامل والفقر والتشرد والنفي والسجن من إرهاصات الإحتلال.

5- الوطنية والحرية

الوطن هو تراث مقدس يرثه الأبناء عن الآباء وهو يبحث فيه عن هويته وأمله ورغبته ومستقبله وماضيه وحبه وشعوره. فامتلاک الوطن بالنسبة للناس بمثابة امتلاک هوية يعرفون أنفسهم بها إلى الأخرين. هذا بالضبط ما فقدته الأمة الفلسطينية فقد قام الإحتلال بسلب هويتهم وآمالهم ورغباتهم ومستقبلهم وماضيهم. لذلک نظراً إلى أصالة الشعب العربي الفلسطيني وحبهم لوطنهم قام الشعراء بتوعيتهم وتحذيرهم من الأخطار المحدقة بهم ودعوهم إلى صيانة وطنهم وطلبوا منهم أن لا يسنحوا للعدو بإحتلال ذرة من ترابه. تجلت هذه المعاني في القصائد التي أنشدت بعد عام 1948 و 1967 بوضوح.[27]

أبدى كل الشعراء الفلسطينيين سواء قبل عام 1967 أو بعده بهذه المعاني اهتماماً بالغاً وأكدوا على ضرورة التمسک بأرض الوطن. فهم فضلاً عن التذكير بأهمية الوطن قاموا بالتنديد بأولئک الأشخاص الذين باعوا أراضيهم وأدوا إلى ضياعه. في هذه الأثناء لم ينس الشعراء أن يشملوا في تنديدهم هذا المستعمرين والاقطاعيين الذين ساعدوا الكيان الصهيوني. بعد هزيمة حزيران عام 1967 اتخذ الشعراء مظهراً آخر في معركتهم مع العدو الصهيوني وهو التفاني في سبيل الوطن والفخر بالقومية العربية مع التأكيد على الجذور والأصالة الفلسطينية.[28]

من خلال نظرة بسيطة إلى الشعر الفلسطيني يتجلى لنا حب الوطن بوضوح. فالشاعر لم يكتف بالتعبير عن حبه لوطنه فقط بل يؤكد على المقاومة والنضال واسترداد الحقوق المنتهكة. يعتبر هكذا حب محفزاً قوياً للمزيد من المقاومة والنضال ومشجعاً للوطنية. فمشاعر هولاء الشعراء طيلة لا تستقر على حال وروح المقاومة وحبهم للوطن لم يكن في وضع ثابت. في بعض الأحيان صعوبة الظروف وفداحة المآسي تثبط الشاعر عن مواصلة طريق النضال نحو التحرر وتفضي إلى الركود والفشل. على العكس في بعض الأحيان يمتلک الشاعر حباً كبيراً لوطنه بحيث لا يقبل سوى بالشهادة والتضحية في

---

[25]- نفس المصدر، ج1، ص114

[26]- نفس المصدر، ج1، ص115

[27]- عطوات، محمد عبد عبدالله، *الاتجاهات الوطنيه في الشعر الفلسطيني المعاصر*، دار الآفاق الجديده، بيروت، 1998، ص280

[28]- نفس المصدر، ص284

سبيله. والحرية أيضاً تنال في طريق الحصول على الوطن، فالشاعر الفلسطيني يعرف تماماً أنه لا يمكن الشعور بالحرية والاستقلال لا بعد الحصول على الوطن. لذلك كلما تحدث عن الوطن وضرورة تحريره تحدث عن ضرورة الحرية أيضاً. فمزج عزالدين المناصرة حب الوطن بحنينه وحماسه إليه. نستطيع أن نجزم أن الشاعر لم ينشد الشعر إلا لوطنه وهذا ما تجلى في شعره بوضوح حتّى أنه من اليسير علينا أن نلاحظ حنينه البالغ إلى بلده وحزنه الشديد على فراقه. فهو قد أنشد الأشعار التي تكشف عن حبه لوطنه ووفائه له باستمرار ويقول:

مريام سور، ثم باب، ثم سور، ثم باب، ثم سور/ وراءَها تبدو لنا البلابلَ التي قد تقرضُ الأسلاك/ وراءها القبور/ وراءها مسالك ونبعة وسفح / مريام ليست حجراً أو سوراً / مريام نبضُنا الخفي في الصدور/ مريام نجمة أقوي من الصباح.[29]

بُعد الشاعر عن وطنه قد منحه رؤية مختلفة إلى حد ما عن الأخرين. فالوطن بالنسبة إليه جدار لا يمكن الحصول عليه لكنه لا يبقى على هذا الحال دائماً. في بعض الأحيان تفتح أبوابه وأحياناً تبقى جدرانه ظاهرة. في الحقيقة هكذا رؤية عن الوطن تروي قصة حريته وأسره من وقت لوقت آخر. بمعني أن المجاهدين ينجحون في بعض الأحيان في المقاومة ويحوزون على إنجازات في ساحات الحرب لكنهم يفقدونها مرة أخرى، إضافة إلى ذلك فهو يشير إلى أسر الوطن في يد المستعمرين. فالشاعر يبدي عن حزنه وألمه لما أصاب الوطن من مآسي وفي نفس الوقت يتحدث عن الأمل والخصب والحيوية أيضاً. مع أن وطنه قد تحول إلى مقبرة لكن الأودية والأحجار وعيون الماء وسفوح الجبال لا تزال موجودة. بمعنى أنه الحركة والأمل والرغبة في النضال ما زالت مستمرة. يرى الشاعر لوطنه نبضاً ضارباً في صدره، فالشاعر مادام حياً فهو يبرز حبه لوطنه:

لم أتكلم عن الخبزوالخوف... ما قلت شيئا/ سوى أنني عاشقٌ من عنب/ أحب هديلَ الحمام على المرتفع/ وعلى أغصان الرمان/ علقنا أعواد الذكرى.[30]

فالشاعر يعرف نفسه على أنه عاشق قد نفى عن بلده الذي يحبه لكن ذكرياته ما زالت ترتسم في ذهنه. وهو في القسم التالي من القصيدة يكشف عن أساه وحزنه لما قام به الإحتلال من أسر وطنه وتدميره. فالوطن قد رسخ جذوره في أعماق الأرض وهذا الحب للوطن هو الذي يجعل الشعب الفلسطيني يتحمس للنضال؛ الوطن الذي هو صدى لماضي الشعب الفلسطيني وتراثه ولا يمكن أن يموت أبداً. فالشاعر يقول:

الأخضرُ جذرُ الأرض/ صديقُ الشمس الحمراء/ الأخضر صوت الحجر الناري/ وصوت الآثار/ الأخضر مرسال النار إلى النار/ الأخضر يولد حين تموت.[31]

فالخصب والإخضرار هي ميزة وطن الشاعر التي ستبقى في المستقبل. والوطن في أذُن الشاعر صدى لصوت أبناء جلدته وهو كالربيع دائماً طازجاً وجميلاً ولا يمكن أن يصاب بالخريف. يصور عزالدين المناصرة أمله بالرجوع إلى وطنه في مقطع أخر قائلاً:

لا تتركيني أبداً / أبداً، أبداً، أبداً / في منفى الطين/ لا تتركيني في هذي الصحراء/ خذ جسدي لفلسطين.[32]

فرغبة الشاعر في دفنه في ثري الوطن يحكي حبه لوطنه ونفوره الشديد من البقاء في الغربة، حتّى لو لم يتمكن الشاعر من أن يعيش في وطنه يريد أن يدفن بعد موته في ثراه الطيب.

6- نتيجة المطاف:

[29]- المناصرة، عزالدين، *الأعمال الشعرية الكاملة*، دار مجدلاوى للنشر، بيروت، 2005، ج1، ص118

[30]- نفس المصدر والصفحة

[31]- نفس المصدر، ج1، ص501

[32]- نفس المصدر، ج1، ص61-63

من خلال ما مرّ عرفنا أن الشعر الحرّ الفلسطيني قد احتوي على مواضيع متعددة من مثل النضال والشهادة وحبّ الوطن والفخر بالقومية والمقاومة والتضحية وكثرة استخدام هذه العناصر يزيد في ثراء الشعر. من جهة أخرى شكل مواضيع من مثل الأمل واليأس والجور وترقب تحسن الظروف الصعبة الأركان الرئيسة لهذا الشعر. فعز الدين المناصرة كسائر الشعراء الفلسطينيين التزم ببيان مشاكل البلاد واهتم بموضوعات المقاومة بفعل حبه لوطنه. لذلك نرى لمواضيع الوطنية التي تشكل القسم الأبرز من ديوانه أثراً بالغاً على مضامينه الأخرى من مثل المقاومة والنضال والفخر بالقومية. فقالب الشعر الحرّ ومواضيعه الجديدة، قد وفر للشعراء مجالاً جيداً يمكنهم من الاهتمام بالمفاهيم بعيداً عن الإلتزام بالشكل الخارجي للقصيدة ومعاناته.

قائمة المراجع والمصادر:

1. آزادي، آزادة، *دراسة مضامين الشعر الحرّ في فلسطين*، رسالة الماجستير، جامعة طهران، 1394ش.هـ.
2. أبوحاقة، أحمد (1979)؛ *الإلتزام في الشعر العربي*، الطبعة الأولي، دار العلم للملايين، بيروت.
3. أبوالشباب، واصف (1981)؛ *الشخصية الفلسطينية في الشعر الفلسطيني*، دار العودة، بيروت.
4. عبدالقادر، حسام (2004)؛ *المقاومة في الأدب، الفكرة و الإبداع*، مجلة الأفق الثقافية.
5. عطوات، محمد عبد (1998)؛ *الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر*، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
6. كنفاني، غسان (لا تأ)؛ *مع أوراق الزيتون*، ترجمة علي رضا نوري زاده، مطبعة چكيده، طهران.
7. كيإلي، عبدالرحمن (1975)؛ *الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين*، موسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
8. المناصرة، عزالدين (2005)؛ *الأعمال الشعرية الكاملة*، دار مجدلاوي للنشر، بيروت.
9. يوسف، يوسف (1977)؛ *دور الشعر في المعركة*، الاتحاد العام للكتاب و الصحفيين الفلسطينيين، تونس.

Abstract:

Palestinian contemporary poetry is actually the voice of a nation who tries to reveal its positions against the enemy via poems. The poet is the describer of poverty, oppression, tyranny, subjugation and terror calling for resistance and fighting against the occupiers. Longing for going back to his homeland, he writes of his love for the country. Calling everyone to rise for a revolution, the poet is proud of his glorious Arab history while being outraged by his lost identity. In this analytical-descriptive study, it was tried to extract the main elements of resistance in the "modern" Palestinian poetry. The findings of the study show that the "modern" poetry abounds with concepts such as calling for resistance, extoling the distinguished positions of martyrs and praising the freedom fighters of the world. Utilizing different techniques such as, symbolic language, mythology, masking and calling, al-Manasra is one of the Palestinian poets who have tried to express his empathy with the Palestinian resistance movement.

Keywords: modern poetry, Palestine, resistance, Izz al-Din al-Manasra, homeland.